

النأى السحرية^(١)

The Magic Flute

للأستاذ بشير الشرقى المحامى

حين قدم موزار Mozart (١٧٥٦ - ١٧٩١) النأى السحرية للجمهور لم تلق ما تستحق من نجاح . ويقال إن مدير الجوقة الموسيقية لأول مرة ظهرت فيها النأى السحرية ، وبعد أن هدأت عاصفة الهائل ، تسلل الى موزار وكانت يشرف على الأخراج ، وقبل به ؛ فربت موزار على رأسه . لنا أن نذهب من ذلك الى أن المدير قد فهم ماعته الموسيقى ، وأن موزار أدرك أن المدير قد فهمها . كلاهما لم يستطع وضعها في كلمات رواية غنائية libretto وهي في الواقع لم تكن مثبتة في كلمات ؛ وما كانت كلمات الرواية الغنائية لتحول دون إدراك الماني الموسيقية لولم يتساءل النظارة عن معاني تلك الكلمات . لقد نجحت النأى السحرية - بعد موت موزار ؛ وسبب هذا النجاح ولاشك أن النظارة لم يعودوا يتساءلون عن معاني كلمات الرواية libretto وأدركوا شيئاً من معاني الموسيقى .

كلمات النأى السحرية هي عناوين لموضوعات ضخمة ، ونحن نمر خلالها بسرعة الى موسيقى بابا كينو Papageno الواضحة ، ولكننا سوف ننسج ذلك الوضع إن نحن سمينا اليه عن طريق الكلمات أو نشدنا موضوع الرواية في هذه الكلمات . إن حوادث الرواية ليس لها ارتباط بالكلمات بعضها ببعض ، كما أن منطق الرواية كله في الموسيقى التي تخلق عالماً تقع فيه الحوادث عفواً ، علماً تصدر فيه الثغمة عن أختها أو تنعكس عنها كما تنعكس قوى الطبيعة أو أفكار الرجل ؛ هذا العالم هو الكون كما يراه موزار ، والرواية بكاملها هي إيضاح لايمانة الخالص . وعلى هذا فهي بذاتها عمل ديني وإن كانت سليمة مما نجده في الدين من مسائل مبهمه وورع جبان . لقد عاش موزار في هذا العالم

أيضاً الى إحياء الفضائل والخلال الرومانية القديمة ؛ وهي اليوم أفضل مما كانت عليه بكثير من حيث الأخلاق والمعم والثقافة . وأما في تركيا فإن العاطفة القومية تبلغ بالشباب حد التعصب الأعمى ، ومع أن الشبيبة التركية لا تتمتع بدرجة محترمة من التعليم والثقافة ، فإنها مع ذلك شديدة الكبرياء والنفطسة تتصور أنها سيدة الشباب في العالم كله ، وأنها على حدثة عهدا بالمدنية الأوروبية وضالة ثقافتها تضارع أرقى شباب أوروبا ذكاء وثقافة ومدنية ، وليس هذا بغريب في بلد يدعى زعماءه أنه هو مهد الحضارات البشرية ، وأن لفته (أى التركية) هي أمل اللغات البشرية ، ويحسبون أن ما أسبق على تركيا الجمهورية في أعوامها القلائل من فنون المدنية الأوروبية يكفى لوضعها الى جانب أعظم الأمم رقياً وحضارة .

هذا وأما عن حركات الشباب في الأمم الإسلامية والعربية فلا نستطيع أن نبسط القول ، ومن الأسف أنه لم تنتظم في أمنا الإسلامية والعربية حركات منظمة قوية من الشبيبة . نعم قام الشباب في مصر وفي البلدان العربية بحركات متقطعة ، واشتركوا في الحركات القومية ، وكان لهم فيها يوم قياها أكبر الأثر . ولكن هذا العمل القومي لم يكن منظماً ولا مستجراً ، ولم تدعمه من الناحية الأخرى تلك المزايا القومية والأخلاقية التي تنشدها . ومن الأسف أيضاً أن شباب الشرق يتأثر من أن لاخر بنزعات الشبيبة الأوروبية ، فيحاول أن يقلدها تقليداً أعمى . مثال ذلك ما أذيع من أن شباب بعض البلدان العربية يحاول أن يقتبس من مبادئ الحركة الهتلرية ، مع أن الحركة الهتلرية هي من أشد الحركات الحديثة زعة الى الاستعمار ، وأبلغها عداوة للحرية ، وأشدّها احتقاراً للأمم الشرقية ؛ فمن الواجب على شبابنا أن يسترشد في حركاته وأمانيه بالظروف المحلية والنفائات القومية قبل كل شيء ، ومن الواجب أن يعمل ولكن في روية واستنارة ؛ ومن الواجب أن يسترشد دائماً بمحضر الوطن وماضيه المجيد في تنذبة العاطفة القومية ، وأن يكون شعاره العمل الرزين المنظم في سبيل الأمانى القومية .

محمد عبد الله عثمانه
المحامى

(١) للاديب الانجليزى كلاتون بروك A. Clutton-Brook عن كتابه :
« مقالات في الفن Essays On Art »

أشبه ما يكون بملك همه أن يضحك ، ولكن بلا أذى ولا حقد ،
همه أن يضحك من شقاء بني الانسان ، وشر المصائب ما يضحك .
وكان يعطف حتى على الفقار « لهم أطفال خبثاء يمكن لمن

عنده سر السحر أن يجعل منهم أهل
خير وصلاح » وفي الناي السحرية يعمل
السحر ، إنه يعمل في الناي نفسها ، وفي
قيثار بابا كينو . عند موزار سر الموسيقى ،
وقد بلغ من جهل العالم بحكمته أن حسبه
مجرد شحاذ يعزف بأناقته في الشوارع ؛
وبعد خيل أصبح الناس يذكرونه كلما
ذكروا الأناقة ، وأصبح الشعب ينظر اليه
كما ينظر الى سوسن الحقل ؛ ولا تزال
الناي السحرية الى اليوم أكثر من رواية
غنائية عادية ذات أناقة وأسلوب بسيط
قديم ، يمكنك أن تتمتع بها على كل حال
إذا لم تقف إزاءها موقف التهييب ؛ يمكنك
أن تتمتع بها كما تتمتع « بهملت » تلك الرواية
المشجية ؛ وهي مثل « هملت » تحوى معاني
دقيقة بعيدة ، معاني لا تدركها أفهامنا . إن
بابا كينو صورة مجازية ؛ ولكنها من أعظم
الصور في جميع روايات العالم ؛ إنه كل
شخص كما كان « هملت » ، وإذا كنا نملك
مهارة معرفة أنفسنا وجدفيه كلاً منا نفسه ؛
وبكلمة أخرى أنه ذلك العامل المستولى
علينا والذي نجبه في أنفسنا ونحتقره في
الآخرين ؛ إنه ذلك العامل الذي لا نعترف
به للحظة ، ألا وهو عامل الخوف والاعتزاز
والكذب .

قدم موزار أغانيه لمارسترو Sarastro
وبابا كينو ، حتى إذا أخذنا في الغناء أحسننا

كلانا نشاركهما غناءهما ؛ وأي غناء ؟ غناء ليس فوق مقدرة
فهمنا ولا سرورنا ؛ غناء الملاك الذي تعلم لساننا الأرضي وأدخل
عليه الإصلاح فأقام بذلك سماء على الأرض ؛ سماء لا تبعد عنا ولا

تصعب علينا ؛ سماء من غابة مقفرة تقدر فيها أن تضحك بقدر
ما تقدر أن تنفى ؛ سماء تضحك فيها الملائكة منا وتضحك معنا ؛
وفي هذا الفردوس الذي خلقه لنا موزار سرعان ما يتحول جلال
الموسيقى الى هزل ، وسرعان ما تعود
الموسيقى الى جلالها ، وهذا التبدل يظهر
دائماً طبيعياً

ذلك هو عقل موزار الذي رماه
الشعب بالطيش لسبب واحد هو أنه وقد
أوجد في سمانه مكاناً لكل شيء لم يوجد
مكاناً لمجد سليمان التبدل ، أو للعنف
والبشاعة والבלادة ، لا يوجد في الفن أبداً
ما هو أعمق أو أجمل من أصول موسيقى
مارسترو . لقد بلغ من وضوح عقيدة
موزار أنها تبدو وكأنها ليست بعقيدة
وانما هي مجرد بهاء ، مثلها في ذلك مثل
القديسين الحقيقيين الذين يبدو عليهم أنهم
ليسوا من أهل الصلاح بل من أهل الفنون .
وهناك من الناس من لا يجد في جمال
موزار فناً ، وسبب ذلك أن جماله جمال
حق . هم يحسبون أنه احتال على هذا الجمال
اختيلاً ؛ لأنهم يشدون صرير الجهود ؛
وينشدون الأناثية ؛ لقد بلغ من نقاء
جهوده ومن كثرتها أن حبسوها رخيصة
لا ترضى إلا العوام .

يصعب علينا أن نشاهد الناي السحرية
تمثل تمثيلاً مرضياً على مسرح اليوم ،
ولكننا برغم ذلك سنسر ولا ريب من أي
تمثيل لهذه الرواية التي حوت روح الموسيقى ،
والتي يمكن للمرء أن يرى منها كيف تكون
الناي السحرية ؛ لقد بلغ من رقة موسيقاها

ورقة أنفاسها أنها تقدر أن تجدد موسيقى هذه الأيام المسرحية القريية .
يمكننا أن نصف تامينو Tamino وبانينا Panina كما نصف
أحسن صور في مجمع فني ، وأن نتخذ كلا منهما مثلاً لأبطال

الكتاب المأثور

تحرير الرسالة

مربية أسماؤهم على حرف الهجاء

الاستاذ إبراهيم عبد القادر المازني

الاستاذ احمد امين

الاستاذ احمد حسن الزيات

الدكتور احمد زكي

الاستاذ عبد الحميد العبادي

الاستاذ عبد العزيز البشري

الدكتور عبد الوهاب عزام

الاستاذ محمد عبد الله غنانه

الدكتور محمد عوصه محمد

الاستاذ محمد فريد أبو حديد

الاستاذ مصطفى صادق الرافعي

وهؤلاء عماد الأمانة المساعدين

في مصر وسائر البلاد العربية

موزار للأذن . وفي العالم الصيني يمكننا أن نتجنب كل تشدق في الغزل الشهواني أعناد أن يلفظ به المسرح الحديث ؛ كما يمكننا أن نخضع أثنائية أوروبا الثقيلة للشرق المنكر لذاته .

لقد تحرّس موزار بالألم ، ولكنه لم ينفخ فيه ؛ إنه بمعنى بجمال العالم أكثر مما يعني بجمال نفسه ؛ عنده أن الشر من عمل الشياطين الذين تقدر الموسيقى على طرد أرواحهم

لقد كان موزار أورفيوس Orpheus هذا العالم الذي يستطيع إن نحن أصفينا إليه أن يذل الحيوانات الكامنة فينا جميعاً ؛ ومع ذلك فإن أقصى وقاره ومنتهى سر جلاله إنما هو في رحمته التي وسعت كل شيء ؛ وهو حين يترحم علينا أو على نفسه لا يأخذه البكاء ، بل يطلب اليأس أن نجفف دموعنا وأن نكون من الصالحين ، وأن نصنى لنياه السحرية .

وهذا الختان الذي ينبعث من أصواته خلال الناي السحرية يبعث في الناي السحرية جمالاً وهزة وعجبا ، لا يمكن أن تبعثها أية عاطفة إنسانية .

سارسترو ليس بساحر ، إن هو إلا قبيس ، لأن فيه حكمة الرحمة الهيبية ، ولأنه خصص مكاناً في فردوسه لبابا كينو ابن الطبيعة يلهو فيه مع صاحبه بابا كينا . مرت بابا كينو وهو في فردوس سارسترو الموحش لحظة فكر فيها أن يشق نفسه ، لأنه لم يجد من يشاطره الحب ، ولكنه لا يكاد يضع جبل الشنقة على عنقه حتى تسمع في الموسيقى قهقهة تنبئك أنه يتعامل من جبل الشنقة ؛ ولكن سرعان ما تقدم إليه بابا كينا وسرعان ما يعود إلى الفردوس أنسه ، ويأخذ الأثنان في غناء دورهما في نهاية الرواية . نحن على يقين بأن عدالة الناي السحرية قضت ببراءة ملكة الليل ؛ والزنجي البشع وجميع معاونيه ؛ لم يعاقب منهم أحد ؛ لقد شقوا الغير ما سبب ؛ فجاءوا ناديين مستغفرين ؛ وهكذا تنتصر الناي السحرية على شرورهم وشقاوتهم ، فتدق الأجراس الفضية من كل شجرة ؛ وتغني البسلايل غناء يحلب الأبواب ، ويتسم الحكماء والمحبون ابتساماً الأطفال ، فتدخل ابتساماتهم دخولاً طبيعياً في دين موزار المقدس ؛ هذا الدين الهيب الذي تألف فيه الابتسام والعبوس ، ولم يتنافرا تنافرها على الأرض .

بشير الشمرقي
المحامي

شرقي الأردن

الروايات الفنتائية وبطلاتها في كل عصر ومصر ، بل قد لا تتسبب ثيابهما لعالم الحقيقة أو الفن ، وقد نمرض غادج مصصعة ومنمقة ، ولكن الموسيقى تطف من ذلك وتساعد كل شخص على أن يقوم بدوره أحسن قيام . من الواضح أن موسيقى الناي السحرية تجلب السرور وتوافق أولئك الذين ينشدونها فإذا بهم كأهم يقومون بعمل ديني أكثر مما لو كانوا يقومون بعمل مسرحي ، وأنت أكثر ما تشعر بذلك عند انسجام الأتغام حين يترامى لك أن ربح الفردوس تهب على جميع الفنانين فينبولون لها تمايل الأزهار بالرغم من ثيابهم الكثيفة . ولكن انثاى السحرية مفتقرة إلى عالم متجانس في النظر كما هو متجانس في السمع حتى تظهر بمظهر كامل مرض ، ولهذا فنحن أحوج - نكون لفترة إصلاح تتناول كل عاداتنا المسرحية ؛ نضرب لذلك مثلاً سارسترو ، إنه يعيش بين مناظر مصرية ، على حين أن هذا العالم المصري لا يناسب الموسيقى وهو يعني لدينا أعاجيب القاعة Hall المصرية ، ولكن هنالك عالماً مفرداً يناسب الموسيقى كل المناسبة ، عالماً تستطيع أن تمر فيه من البث إلى الجمال مروراً طبيعياً ؛ وفيه تكاد تكون جميع الصور متناسبة وواضحة ، ذلك العالم هو العالم الصيني كما عرفناه في الفن الصيني حيث يوجد في هذا الفن الخيال الروحي والهزل البهي ؛ حيث يوجد في هذا الفن مزيج من طفولة وقداسة يوحى إلى العين ما توحيه موسيقى موزار إلى الأذن ؛ وفي الفن الصيني فقط بقدر بابا كينو أن يكون قديماً ؛ في ذلك العالم فقط تعيش روح موزار بضحكتها وحكمتها ، وكأنها في بيتها ؛ في هذا العالم تساوت الأزهار وجميع الحيوانات في الخطر مع جنس الإنسان ، في هذا العالم يظهر الأفق والثعبان وكأن كلاهما مصنوع من ورق مقوى ؛ في هذا العالم لا يظهر السحر أنه مجرد تعاويذ ؛ في هذا العالم يمكن للمرء أن يقع على مناظر طبيعية وصور جميلة ؛ وفيه لا يكون سارسترو ساحراً مسرحياً بل كاهناً كنسياً .

في الحق أن الفن الصيني هو عالم الناي السحرية حيث تتلألأ الأجراس الفضية من كل شجرة مزهرة ، وتردح الحدائق بالبلابل الساحرة ؛ هو عالم الحماسة والتأمل ، حيث يجلس الحكيم في السراقد في ضوء القمر ، ويتسم ابتساماً عاشق ، وحيث يتسم العشاق كالحكام . . حيث يوحى كل شيء للمعين ما توحيه موسيقى